

محرم
١٤٤٥ هـ

كلمة شهرية بعنوان

الجماعة المسلمة
(٢)

بقلم

حفظه الله تعالى
محمد بن سعيد الأندلسي



كلمة شهرية بعنوان

الجماعة المسلمة (٢)

محرم ١٤٤٥ هـ

بقلم



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أمّا بعد مَن أَمْعَن النظر في آفاق التاريخ وتَقَلُّبات الأمم، واسْتَقْرَأَ أحوالها وما نابها عَبْرَ الدُّهور، أَلْفَى دون عناء وبِواضِح الجلاء أنَّ ما أصابها مِنَ التشرذم والفناء، أو الهَلَكَة والانمحاء، إنما سَبَبُه صِفَة التنازع والشِّقاق، والتخالف والافتراق، وما أصاب الأمم من السمو والرفعة، والقوة والمنعة، والفتح والازدهار، إنما سببه وحدة الكلمة، وألفة القلوب، وصفة الاجتماع؛ فما مِن أمة اجتمعت كلمتها على عُصبة مِن رجالها وتَوافق رأيها إلا صار لها شأن ولو كانت من أضعف الأمم وأهونها، **ففي الجماعة أمةٌ تعزُّ وترقَى، ومجدٌ يُسَطَّر ويبقى**، وقد أوضح النبي ﷺ سبب هلاك الأمم كما روي عن عبد الله، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» [١]... فإنَّ الجماعة المتآلفة التي تَصْدُر عن رأي ومرجعية واحدة هي اللَّبِنة التي يُقام عليها مجد المسلمين ودولتهم، والعمل ضمن هذه الجماعة بركة ونماء، والخطأ فيها متجاوز عنه وعفاء، كما روي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ لله في الْجَمَاعَةِ فَأَصَابَ تَقَبَّلَ الله مِنْهُ، وَإِنْ أَخْطَأَ غَفَرَ الله لَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لله في الْفُرْقَةِ فَأَصَابَ لَمْ يَقْبَلِ الله مِنْهُ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [٢]. قال ابن بطة: "فَالْإِصَابَةُ فِي الْجَمَاعَةِ تَوْفِيقٌ وَرِضْوَانٌ، وَالْخَطَأُ فِي الِاجْتِهَادِ عَفْوٌ وَغُفْرَانٌ" [٣].

أيها المسلمون: إنَّ أول المقامات للخروج من النفق المظلم الذي نحن فيه هو الاجتماع على الأصول العقدية المقررة في **كتاب**: "**الهداية**"، وَتَرْك شذوذ الآراء، وقَمْع الأهواء، والأخذ على أيدي السفهاء المتعالِين، وقَطْع الطريق على المُغَرِّضين مِن مؤسسة "راند" الذين يَقْذِفون بالأُغلوطات حتى تندثر جموع المسلمين وتنشطر أفرادهم، وتحذير المسلمين مِن أصحاب المواسم البدعية، الذين يفتحون في كل موسم بدعة ومحدثة ومقالة ومعضلة ليفترق عليها الناس ويلعن بعضهم بعضاً، مع إهمال

[١] صحيح البخاري - ط السلطانية (١٢٠/٣)

[٢] رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٥١٧٠ وقال: "لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: زَيْدٌ الْعَمِّيُّ"، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٦٧/٢)

[٣] الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٦٧/٢)

اعتبار العوام الجهلة الأحداث، الذين لم يستقم لسانهم بعد على قراءة كتب العلم، يريدون أن يكون لهم قولٌ في جملة مسائل الدين العظيمة وَهُم لا يَضْبِطون أصول العلوم وبديهياتها، ويخوضون في دقائق المسائل وجليلها... إنَّ الواجب على المسلمين هجر هؤلاء النماذج، وعدم الالتفات إليهم؛ حتى لا يكون لهم صوت بينهم، حتى لا يكونوا حجرة عثرة في طريق الجماعة المسلمة، حتى لا يكون للأقزام الصغار رأياً ومقالاً في دين الله... حتى يَشْتَغِل المسلمون بالبناء قُدُماً لا يلتفتون إلى عوائهم وتشويشهم وصراخهم... إنَّ تجاوز مرحلة النِّزاع العقدي إلى الوفاق في الأصول، وتحديد المرجعية في النوازل والإفتاء، هو أول المقامات التي ينطلق منها المسلمون إلى البناء العقدي في الأجيال، والبناء الحركي في مسار الجماعة المسلمة، فالخروج مِن دوامة تحديث المسائل اللامتناهية والانشطار على إثرها هو بمثابة إيقاد السراج في النفق المظلم، حيث يستطيع المسلمون السير عليه ورؤية تفاصيل الطريق، ووضع لبنات البناء وقطف الثمرات بعد بذل الجهد وكبير العناء.

أيها المسلمون: إني لكم ناصح ومشفق وأمين والله على ما أقول شهيد، واعلموا أنَّ الدعوة إلى الجماعة المسلمة تُخالِف أهواء الكثير مِن رؤوس الجهل في هذا التيار حتى يبقى المسلمون بأسهم عليهم لا على غيرهم، شرذمة شركاء متشاكسون. الشراذم الذين يريدون أن يكون كل فرد شيخاً لنفسه حُراً في تَنَقُّلِه وتَقَلُّبِه، كالشاة العائرة بين الغنمين كما روي عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً» [٤]... الشراذم الذين ينادون بالكفر بالجماعات ونبذ الاجتماع حتى لا تكون للمسلمين جماعة، الشراذم الذين يُسْقِطون كل رأس مِن رؤوس العلم والسابقة حتى لا يلتف المسلمون على إمام ولا يجمعهم سلك ولا زمام، الشراذم الذين هم أول فئة تحارب الجماعة المسلمة عند قيامها قَبْل الطواغيت وأعوانهم وكأنهم لا يعلمون أنَّ البراءة مِن الجماعات الباطلة والانسلاخ منها لا يقتضي تعطيل أمر الله في الاجتماع على الحق وبناء الجماعة المسلمة، فهي جماعة واحدة على الحق بين ثلاث وسبعين جماعة

[٤] صحيح مسلم (٢١٤٦/٤)

على الباطل كما روي في حديث الافتراق: «وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً -يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ- كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» [٥]، وفي رواية: «وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» [٦].

إنَّ الدعوة إلى الجماعة هي دعوةٌ إلى حفظ الدين في هذا الزمان الذي اشتدت به الفتن والتقلبات، هي دعوة لاستنقاذ المسلمين مِن مستنقعات التشرذم والفرقة والضياع والشذوذ، هي دعوة إلى إقامة اللبنات لبناء صرح عِزّ المسلمين والعمل على إقامة جماعة الأبدان بعد إقامة جماعة الأديان، هي دعوة لقطع الطريق على قُطّاع الطريق ومعاول الهدم وسفهاء الأحلام وأفراخ الاستخبارات، هي دعوة للتآلف والتكاتف والتآزر والبناء وإقامة دين الولاء للجماعة المسلمة في هذه الجاهلية النكراء، هي دعوة لطوق النجاة وسبيل السنة والإيمان والارتقاء والمضي نحو البذل لهذا الدين عبر الجماعة المسلمة، هي دعوة إلى طريقٍ السلوكُ فيه محتوم والتنكب عنه مطية الزلل والخطل والضياع وذهاب الدين والانحلال في الجاهلية النكراء.

أيها المسلمون: اعلموا أنَّ الحفاظ على الدين في هذا الزمان مستصعب متعذر، إلا بسلوك طريق واحد فريد من تَخَلَّف عنه أُصيبت معاثره وزَلَّت أقدامه عند عتبات التيار العرم النجس في هذه الجاهلية النكراء، إنها طريق لزوم الإسلام الشمولي الذي جاء به محمد ﷺ بالخروج من الجاهلية ومفاصلتها والدخول في الجماعة المسلمة والولاء لها، إنه طريق الحركة والبذل والعطاء والحياة ليحيا هذا الدين، فالجهاد بمفهومه العام هو جهاد الكلمة والنصرة والتأليف على الحق والإعداد وتوابعه هو واجب على كل مسلم ومسلمة في هذا الزمان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، عن الضّحّاك بن مزاحم، قوله: "﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ في الهجرة لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُل الثبات على الإيمان" [٧]، قال يحيى بن سلّام في قوله

[٥] مسند أحمد (١٣٥/٢٨ ط الرسالة)

[٦] سنن الترمذي ت بشار (٣٢٣/٤)

[٧] تفسير الثعلبي (٢٩٠/٧)

عَزَّ وَجَلَّ: "﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يعني: سبل الهدى الطريق إلى الجنة" [٨]، وأمّا مَن رَكَن إلى دنياه ولم يكن لنصرة الدين هَمٌّ يَغْشاه، فما أسرع هَلَكَته وخاب مسعاه، ومع تطاول الأيام والأزمان سيندمج في هذه المجتمعات الجاهلية ويذوب فيها وينصهر في بحرها ويضيع بذلك الدين وهو الخسران المبين.

اللّهُمَّ قَدْ بَلَّغْت... اللّهُمَّ فاشْهَد.



[٨] تفسير يحيى بن سلّام (٢/٦٤٢)